

## المعنى في ( بط ) الشاعر!!

شاع على الألسنة عند التوقف أمام بيت شعري غامض قولهم: " المعنى في بطن الشاعر!! أي في عقله ، وذهنه ، ولكن المعنى في القصة التالية في " بطن الشاعر الحقيقية : أي في معدته !! ويمكن أن نقول إن المعنى في القصة في " بط " الشاعر الكبير الديمياطي محمد مصطفى الماحي (١٨٩٥-١٩٧٦) .

فحين صدر " ديوان الماحي " في طبعته الثالثة عام ١٩٦٩م [ وكانت الطبعة الأولى منه قد صدرت عام ١٩٣٤ في العام ذاته الذي صدر فيه أول ديوان لكل من إبراهيم ناجي وعلى محمود طه ثم صدرت الطبعة الثانية من ديوان الماحي عام ١٩٥٧م]. احتفلت به الأوساط الأدبية في مصر، وأقيمت عدة ندوات حول هذا الديوان في دار " جمعية الشبان المسلمين " بالقاهرة ، وفي دار " جمعية الشبان المسيحية " وفي دار " جمعية الأدباء " ، وفي دار " الرابطة الإسلامية " ورابطة الأدب الحديث وغيرها .

وفي إحدى هذه الندوات ألقى الشاعر الفكاهة عبد السلام شهاب قصيدة متميزة ، غمز فيها الشاعر الماحي غمزتين فكاهيتين ، أولاهما حين تحدث عن حجم الديوان الضخم فقال :

ديوان " الماحي " الديمياطي      سبحان الوهاب العاطي  
 أرأيتم دفتر تليفونٍ      " معبوطاً " أو " تحت الباطِ "؟

ثم انتقل إلى الغمزة الثانية ليصنع منها المفارقة ، فهذا الشاعر الذي أنتج ديواناً بهذا الحجم الضخم الذي جعله أشبه بدليل التليفونات هو من أهل دمياط المعروفين بين المصريين بشدة حرصهم - أو بخلهم - فيقول شهاب :

هو من دمياط - لا عجب !!-      يزن الدنيا بالقيراط  
والدمياطي بفطرتة      "لقاط" القرش بملقاط

ومع أنه من بلد معروف أهلها بشدة حرصهم ، وجمعهم المال والحفاظ عليه فإنه رجل كريم ، سمح ، يستمتع أصحابه إذا كانوا ضيوفاً عليه بما يأكلون وما يشربون :

واسأل من زاروا منزله      عن ألف سماطٍ وسماطٍ  
فلبستان الماحي صيْتُ      في جمع البط "الزغاطي"

وبالرغم من أن عبد السلام شهاب - فيما يبدو بعد ذلك من المعركة - لم يكن قد زار الماحي ولا ذاق طعام بطه ولا طعامه ، فإن حيلته قد نجحت ، وانطلت على الشعراء حاضري الندوة.

وكان الشاعر محمود غنيم واحداً من أبرز شعراء الفكاهة والمساجلات الإخوانية ، وكان مشغولاً بالدخول في معارك "البطون" بصفة خاصة كما نرى في قصائده عن العدس الأباضي ، ولحوم الخراف ، والديوك .. وغيرها مما نجده في ديوانه .

وبعد انتهاء الندوة كتب محمود غنيم إلى صديقه الماحي يعاتبه لأن عنده مزرعة بط وأطعم منها عبد السلام شهاب وغيره من أصحابه ولم يدع غنيماً معهم مع شدة ما يرى من الغلاء الفاحش الذي يفتك بالناس ، فقال يخاطب الماحي :

قد سمعنا عن بطكم ما سمعنا	فأكلنا بالأذن حتى شبعنا
غير أن الأفواه تنطق همساً:	ما عرفنا لذلك البط معنى!!
يا أبا مصطفى ، عليك سلامٌ	أفأرضيك أن شبعتَ وجُعنا؟
وسع الناس كلهم بطك النا	ضج دهنًا ، لكنه لم يسعنا
جُد علينا ولو بطيف جناح	لا تدعنا نشكو الطوى، لا تدعنا!
نحن في عهد أزمة وغلاءٍ	قدرهنا فيه المتاع وبعنا
نحن قوم لنا العفاف شعارٌ	إن سقينا حساءَ بط قنعنا
وإذا نالنا كريم بإحسا	ن ، شكرنا صنيعه وأذعنا
ونذيق البخيل هجواً وبيلاً	مثل حدّ السلاح ضرباً وطعنا
صاح، لا عذر بعد هذا، فقل لي:	قد سمعنا ما قلتَه وأطعنا

وحين وصلت أبيات محمود غنيم إلى الشاعر الماحي ، أدرك أنه خاسر لا محالة ، فإما أن يدعو غنيماً وصحبه إلى وليمة ضخمة تجور على ثروته من البط وإما أن يستعد لقصائد الهجاء المقذعة فيخسر سمعته ومكاتبته الرفيعة بين أدباء عصره ، فلجأ إلى التحايل ورفع لواء المسكنة ، والتشكي من الغلاء والبلاء وسوء الحال ، وزعم أن عبد السلام شهاب لم يزره ولم يطعم عنده بطاً ولا دجاجاً ، وإنما

قال ما قال تحت وطأة الجوع ، وللجائع أن يحلم كيف شاء بما شاء فكتب إلى محمود غنيم يقول :

يا أخي ، يا غنيم ، رفقاُ بحالي      إن عبد السلام بات يُغالي  
لا تصدق ما قاله ، يا صديقي      إنه شاعر رحيب الخيالِ  
لم يزرني ولم أزره ، ولكن      هاجه الشوق للطعام الغالي  
كان فيما مضى - يُقدِّمُ بطُّ      ودجاجٌ مُحَمَّرٌ في المقالي  
يوم كان الزمان سهلاً رخيلاً      لا يمر الغلاء فيه ببالِ  
فغدا البط والدجاج - كما تُعدُّ      لم - ضربين من ضروب المحالِ

ويبدو أن الماحي بعد أن كتب الأبيات السابقة خشي مما كان يعرفه من سلاطة لسان غنيم ، وتخيل ما ينتظره من سوء العاقبة إن لم تنطل على غنيم حيله السابقة، وشكاواه من الغلاء ، فأردف يدعوه دعوة رقيقة لا جزم فيها ولا تحديد موعد فقال :

غير أني - وقد تصوَّرتُ ما قا      ل صحيحاً - أراه سهل المنالِ  
لك عندي وللصديق شهاب      أسمن البط في قريب الليالي  
ولمن شئت من مُحبيك طُراً      أنا والله لست بالبخالِ  
فاقترح ، يا أخي - فديتك - يوماً      واختبر - إن شككتَ - صدق مقالي

ومع ذلك فلم يسلم من لسان غنيم ، الذي أرسل إليه يسخر مما جاء في قصيدته من ادعاء للفقر ، وشكوى من الزمان ، مما كاد يدفع بمحمود غنيم إلى أن

يتبرع له بما يملك من قوت أولاده ، وسخر من دعوته التي جاءت في آخر أبياته لأنها دعوة مذبذبة لا حسم فيها ولا تأكيد ، فقد تلقى من محمود غنيم قصيدة حادة اتهمه فيها بالبخل ومحاولة التمسح بالغلاء، مع أن أصحابه لم يطلبوا منه ذبح عجل من الماشية ولا ذبح ناقة ولا جمل ، لكنهم لم يجمحوا بخيالهم الطامح لأكثر من ذبح بطة هزيلة جائعة، فلماذا يصر على دعوتهم بهذا القلب الهلوع ؟ وتلك النفس الوجلة ؟ فقال غنيم للماحي :

أنا لم أدرِ أن جييك خالي	أيها الشاعر الرقيق الحال
كِدْتُ أهدي إليك قوت عيالي	أنت قد بَتَّ تدَّعي الفقرَ حتى
من ، وفحلين من فحول الجمالِ	ما طلبنا إليك ذبح فصِيلِيْ
إلى الله تشتكي من هُزالِ	بل طلبنا جناح أنثى من البط
والتباكي على الزمان الخالي؟	فعلام الأسى، وطول التشاكي
بل بقول ممزق الأوصال	لست ممن يدعو الضيوف بقلبٍ
بل بطرفٍ ذي مَدَمَعٍ سيَّالِ	لست ممن يدعو بطرفٍ قريِرِ
ف بيمناك ، طارداً بالشَّمالِ	مُومئاً نحو باب دارك للضيءِ
ثابتٍ ثابتٍ ثبات الجبالِ	والكريم الكريم يدعو بقلبٍ

ثم بدأ غنيم في تنفيذ ما هدد به من هجاء مقذع ، فقال للماحي إنه ابن أصل لهذه المدينة التي اشتهرت بين المصريين بالحرص الشديد ، مع ما عرف من أنها بلد الأدباء والشعراء . ونفض محمود غنيم - بهذا الهجاء القومي - يده من

فكرة دعوته إلى أكلة من بط الماحي ، وليستعد الماحي بعد ذلك لجولات أخرى من الهجاء في كل مناسبة فقال غنيم :

يا ابن دمياط ، إنّ دمياط      إن عدتّ بنيتها تعدك ابن حلال !!  
 إن دمياط مهبط الشعر ، لكن      هي في الحرص مضرب الأمثال  
 إن أنجاهها كثير ، ولكن      أنت ، يا صاح ، أنجب الأنجال !!  
 بكرها أنت حكمةً وبياناً      وفتاها حرصاً على الأموال !!  
 صاح دعني من أكل بطك، دعني      أوثر الجوع ؛ إن عرضي غالي!

واستمرت المعركة سجالاتاً ، فرد الماحي مدافعاً عن نفسه ، متذرعاً بسوء الأحوال - مرة أخرى - والغلاء الفاحش ، واستغرب ألا يحس غنيم بوطأة هذا الغلاء لما حققه من ثراء وما جمعه من ثروة :

يا صديقي، لقد عهدتك عدلاً      منصفاً في المقال والأفعالِ  
 أنا لا أشتكي - كما قلت - فقراً      لا، ولا البخل خصلة من خصالي  
 فلم الجور والتشكك فيما      سُقتَه باكياً لرقّة حالي؟  
 فيم نُكرانك الغلاء، وكل الـ      ناس يشكون من أذى مغتالٍ؟  
 فإذا لم تحسه، فهنيئاً      لك ما قد جمعت من أموالِ  
 أنا عندي من القناعة كنزٌ      ومن الله فضله المتوالي

ولم يجد الشاعر مصطفى الماحي بداً من الدفاع عن بلده ( دمياط ) فوصفها بأنها بلد الجد والاجتهاد والعمل ، وما شاع عنها إنما هو حقد من الآخرين عليها

لأنها تفرق تفريقاً عميقاً دقيقاً بين " الحرص " بمعنى " الشطارة " أو الوعي الاقتصادي، وبين " البخل " بمعناه المذموم شرعاً و عرفاً. وعلى هذا الأساس من التفريق بينهما، اضطر الماحي إلى تجديد دعوته إلى غنيم لكي يأتي - ومن شاء معه - إلى دمياط لتناول البط ليدرأ الماحي عن نفسه تهمة البخل :

إن دمياط ذات جد ، وقصيدٍ      لا لحرص، ولا لسوء فعالٍ  
تضع الحق في النصاب ولا تف      عمل فعل الأغفال والجُهل  
هل أجاريك في دُعَايتك الحر      ي، وأنت المداعب المتغالي  
لا، وحسبي أني أعود إلى دع      موتك اليوم، صادقاً في سؤالي  
مع من شئت من محبيك ، إني      لا أماري، ولستُ بالبخل  
فاقترح، يا أخي - فديتك - يوماً      واختبر - إن شككت - صدق مقالي

ولما رأي محمود غنيم أن دعوة صاحبه الماحي لم تزد عن سابقتيها وما تزال دعوة هشة هزيلة مذبذبة كتب عشر مقطوعات ساخرة نال فيها من الماحي نيلاً عظيماً وجعل لكل منها عنواناً مستقلاً ، وهذه المقطوعات آية من آيات الإبداع الفني فيما تجلى فيها من خيال ودقة تصوير وتنوع في معاني السخرية اللادعة وهي :

#### ١- دون الوصال

بالله، يا ذات المَحِيّا الضاحي      قد طال بي ليلي، وأنت صباحي!  
قالت: أطمع في الوصال ودونه      قُبُلُ النجوم وأكلُ بط الماحي؟

٢- ليلى المريضة في العراق

ويلاه، ليلي بالعراق مريضة  
كيف السبيل إلى الدواء، وإنما  
قد أصبَحَتْ في عالم الأرواح!  
هو دِرْهُمٌ من دهن بط الماحي؟

٣- حامل الأوسمة

قال الصديق: لقد وصلت، فزينوا  
فسألته: أوليت عرشاً؟ قال: لا  
صدري بألف قلادة ووشاح  
لكن لمحت خيال بط الماحي!!

٤- مصارع الآساد

ساءلته من أنت؟ قال: أنا الذي  
صارعت آساد الشرى؛ فصرعتها  
يدري الكماة المُعلَّمون كفاحي  
لكن عجزت أمام بط الماحي!!

٥- الفرسان الثلاثة

لو أن "هانبيال" جاء محارباً  
أو أن "نابليون" عاد، و "هتلراً"  
في ألف ألف مدجج بسلاح  
لم ينجحوا في غزوبط الماحي!!

٦- المستحيلان

لا شيء في دنياك غير متاح  
إلا طبيباً قام يُحيي ميتاً  
من يسع، كُلُّل سعيه بنجاح  
أو طامعاً في أكل بط الماحي!

٧- في زحل

لما تكشفت النجوم، وأفلحوا  
ساءلت عن زحل: أفيه خلائق؟  
في غزوها بالعلم أيّ فلاح  
قالوا: وجدنا فيه بط الماحي!!

٨- عفريت من الجن

أسمعت عن جن ابن داود الذي  
لو ظل يبحث ألف عام كامل  
قد جاءه بالعرش فوق جناح؟  
لم يدر أين مكان بط الماحي!!

٩- محتضر يتمنى

شاهدت خلي وهو يلفظ رُوحه  
فأجاب: أطلب من حبيبي قبله  
فسألته: ما تشتهي يا صاح؟  
أو قطعة من لحم بط الماحي!!

١٠- مهر الخطيبة

قال الخطيب: لقد فقدت خطيبي  
كيف السبيل إلى الزواج، ومهرها  
وأطول حُزني بعدها ونواحي!!  
هو ريشة من ريش بط الماحي؟  
وقد أجاب الماحي على هذه الدعايات ملمحاً إلى ما جاء فيها بقوله:

يا أخي، يا غنيم سأمحك اللد  
كم قصيد دبجته كنت فيه  
تحسب البط نعمة الله، حتى  
مرة تطلب الحساء، وأخرى  
أترى: ليس في البسيطة شيء  
إن ذكرت الغلاء يوماً تشكك  
ورفعت السياط حتى كأني  
ه! فما كنت يا أخي بالشحاح  
مثلاً في براعة اللّساح  
بتّ ترضى بريشة من جناح  
تتغنى بالبط في إفصاح  
يملاً البطن غير بط الماحي؟  
ت، وبالغت في مقالة لاحي  
جئت ذنباً فوق الرضا والساح

ثم بدأ الماحي يجامل غنيماً ويشيد بأبياته في مقطوعاته ويجدد الدعوة له فقال واصفاً شعر محمود غنيم الساخر في تلك المقطوعات:

كم تأتي مستنفراً في حديث      خَالِبٍ للعقول والأرواح  
في خيال مُجَنِّحٍ، وبيان      أين منه بلاغة الوضّاح؟  
صغت فيه ملاحماً وحكايا      ت تجلت في أجمل الأوضاح  
ولقد كدتُ أحرّنُ اليوم حتى      أتلقى العتاب كل صباح  
فهو عتبٌ مُجَبَّبٌ بل نكاتٌ      مُسكراتٌ للنفس مثل الراح  
غير أنني أعود ألمحُ ما يسـ      فر عنه البيان من إلحاح  
يا أخي إنني دعوتك فاقبل      واطعم البط في هنا وانسراح  
وأقترح يا أخي - فديتك - يوماً      واختبر - إن شككت - صدق الماحي

وأخيراً دُبج البط؛ فقال الشاعر محمود غنيم شاكراً وذاكراً توقفه عن كتابة الشعر بعد أكل بط الماحي، ومهدداً بتجديد الهجاء إن لم تتجدد الدعوة إلى (عزومة) ثانية:

يقولون: ما للشعر غاض معينه      وكنت تقول الشعر في البط محكماً؟  
فقلت لهم: قد كان جوعي مُلهمي      فلما أكلت البط؛ لم ألق مُلهما  
فلا شكر للماحي إذا لم يُشّها      فإن هو نئى كان أسخى وأكرما  
وإلا فإننا قائلون لبطه:      "إلى حيث أَلقت رحلها أم قشعما"  
وأهون من هذا لديّ: لو انني      حفرت بظفري في الجنادل منجما

له الله بطاً صدته بقصائدٍ تكاد تصيد النجم من كبد السماء!  
وهكذا ، أثبتت لنا هذه المعركة الطريفة أن المعنى يكون أحياناً في " بطن "  
الشاعر بمعنى معدته، ويكون أحياناً في " بط " الشاعر.. إذا كان مثل شاعرنا الكبير  
محمد مصطفى الماحي رحمه الله !!